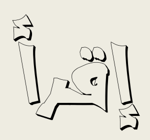
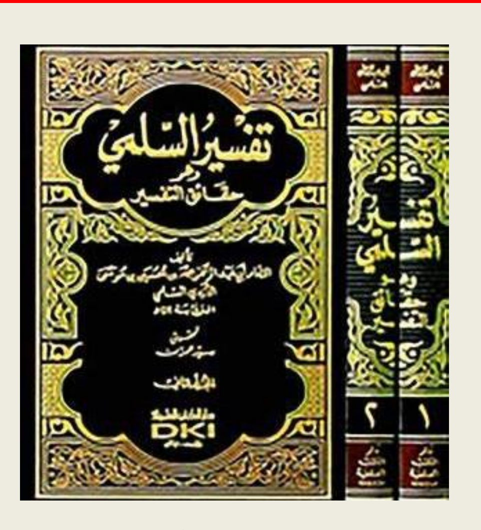
إلهامات من القرآن



سورة



حقائق التفسير/ السلمي (ت 412 هـ) *



_ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ _

قوله تعالى: _ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ_الآية: 1

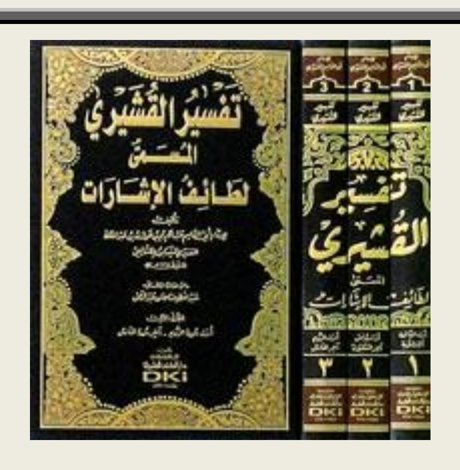
قال بعضهم: أهل الإرادة فى الطلب، والمرادون مطلوبون

ألا ترى إبراهيم عليه السلام

كان طالبًا بقوله:_ هَـٰذَا رَبِّي_الأنعام: 76 وليس لمن يهدى ربى_ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي _الصافات: 99 والمراد مطلوب.. ذلك صفة الحبيب .

ألا ترى أنه لما قيل له: ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ استقبله الأمر من غير طلب .

لطائف الإشارات / القشيري (ت 465 هـ) *



ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ *خَلَقَ ٱلإنسَانَ مِنْ عَلَقٍ * ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلأَكْرَمُ* ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ * عَلَّمَ ٱلإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ * كَلاَّ إِنَّ ٱلإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ* *أَن رَّآهُ ٱسْتَغْنَىٰ *

هذه السورة من أوّلِ ما نَزَل على المصطفى ﷺ لمّا تعرِّض له جبريل في الهواء،

ونَزَلَ عليه فقال: ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ _ فالناسُ كُلُّهم مريدون وهو ﷺ كان مُرَاداً فاستقبل الأمر بقوله: " ما أنا بقارئ، فقال له: اقرأ، فقال: ما أنا بقارئ،

فقال له: " اقرأ كما أقول لك؛

ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ.. أي خلقهم على ما هم به

خَلَقَ ٱلإنسَانَ مِنْ عَلَقٍ

العَلَق جمع عَلَقَة؛ كشجَرٍ وشجرة والعَلَقَةُ الدمُ الجامد ،فإذا جرى فهو المسفوح

ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلأَكْرَمُ

الأكرم: أي الكريم

ويقال: الأكرم من كلّ كريم

ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ عَلَّمَ ٱلإنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ

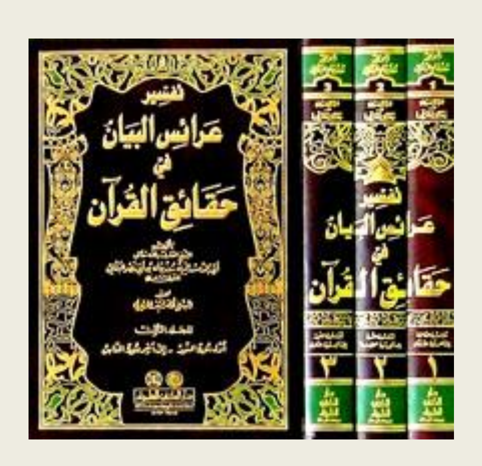
عَلَّمهم ما لم يعلموا: الضروريَّ، والكسبيَّ

كَلاَّ إِنَّ ٱلإنسَانَ لَيَطْغَىٰ أَن رَّآهُ ٱسْتَغْنَىٰ

أي: يتجاوز حَدَّه إذا رأى في نفسه أنه استغنى؛ لأنه يَعْمَى عن مواضع افتقاره

ولم يقل: إن استغنى بل قال: أَن رَّآهُ ٱسْتَغْنَىٰ فإذا لم يكن مُعْجَباً بنفسه، وكان مشاهداً لمحلّ افتقاره لم يكن طاغياً.

عرائس البيان في حقائق القرآن/ البقلي (ت 606 هـ) *



_ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ _

كان عليه الصلاة والسلام شاهدا فى الحضور غائبا عن الرسوم.. تحول حول الحقائق

وتكتم أسرار المعرفة لا يتحدث بحديث العشق ولا يرمز بلطائف الحب..

كان مستغرقا فى القرب كأنه جعل نفسه فى جانب عن الأجانب فى حواس

عن تلك القصة مُعرضا مُراقبا عاشقاً كأنه كان لم يكن له خبر..

وهو كان فى محل العيان.. لكن لم يكن فى البيان

اقبل بالسر نحو المراد..وإن لم يكن هناك فى المراد..

قرع الحق باب قلبه لأنه هو المريد والحبيب..

هو المراد الأحد طالب.. وأحمد المطلوب.. لا حُرم الطلب من نِدا..

إذ أوحى إليه قَبل طلبه فقال: إقرأ ،كأنه كان قاريا إذ شاهد الحق بالحق فى الأزل

ولكن كان غائبا عن المحضر الأعلى.. لشهوده مشاهدة الأدنى..

فقال ما أنا بقارئ يعنى أنا لا أقرأ غير الثناء عليه.. قال اقرأ باسم ربك الذى خلق..

أخذه بالإسم.. وكشف على ظاهر المعرفة، ثم بان المسمى له بقوله ربك، ثم غيبه فى الغيب.. وحيره فى الهوية بتحقيق الإشارة بقوله_ الذى_، فلما غاب فى الغيب أخذ يده من استغراقه

فى بحر الأزل، واحضره ساحة أنوار الصفات فى مشاهدة الأفعال

بقوله_ الذى خلق_ هكذا فعل بالمرادين وجعل الطالب حيرانا فى طلبه..

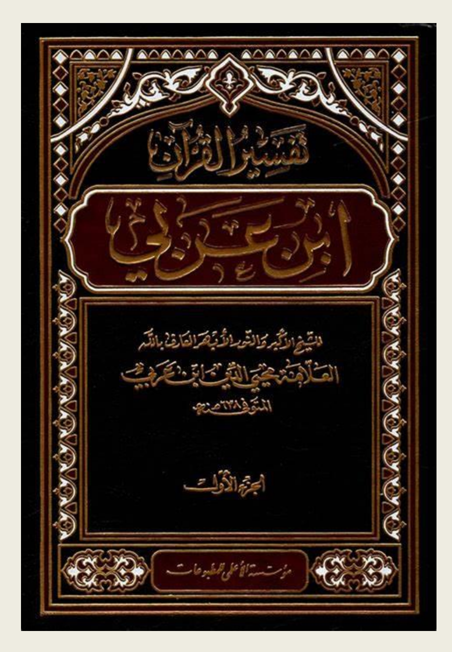
ألا يرى شان موسى عليه السلام كيف أقبل عليه فى طلبه.. فناجاه بعد أربعين يوما

لأنه كان مريدا والمصطفى ﷺ كان مراداً ..لذلك ناجاه بالبديهة إظهاراً لحبه البالغ..

واصطفائيته الكاملة،

الخليل قال: إنى ذاهب الى ربى والكليم.. قال: وعجلت إليك رب لترضى.. وحيث ظهر كمال المحبة قال: سبحان الذى أسرى،

تفسير القرآن / ابن عربي (ت 638 هـ) *



*ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ ٱلإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ*

_إقرأ باسم ربّك _ نزلت في أول رتبة ردّه عليه السلام عن الجمع إلى التفصيل،

ولهذا قيل: هي أول سورة نزلت من القرآن،

ومعنى الباء في باسم: الإستعانة.. كما في قوله: كتبت بالقلم،

لأنه إذا رجع إلى الخلق عن الحق كان موجوداً بالوجود الحقاني بعد الفناء عن وجوده موصوفاً بصفاته، فكان إسماً من أسمائه لأن الإسم هو الذات مع الصفة،

أي: اقرأ بالوجود الذاتي الذي هو إسمه الأعظم فهو الآمر باعتبار الجمع..

والمأمور باعتبار التفصيل ولهذا وصف الربّ بـ _ الذي خلق _ أي: احتجب بصورة الخلق،

يعني ظهرت بصورتك.. فقم بي في صورة الخلق.. وارجع عن الحقية إلى الخلقية ،

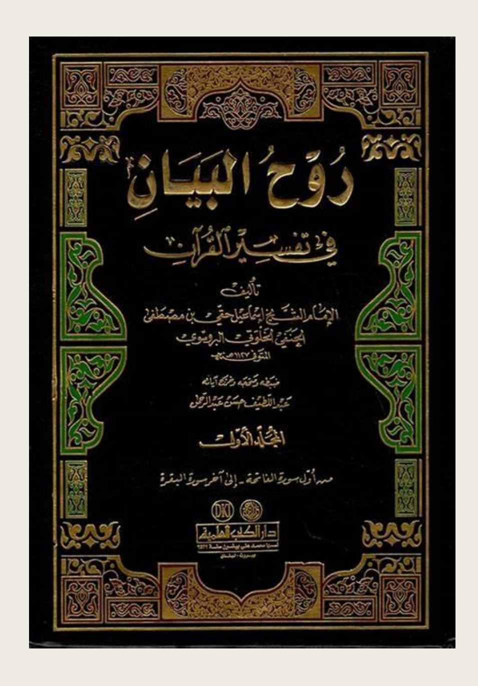
وكن خَلقِاً بالحق,

ولما ردّه إلى الخلقية في صورة الجمعية الإنسانية وأمره بالاحتجاب بها

لتمكن الوحي والتنزيل والنبوّة خصّ الخلق بعد تعميمه بالإنسان.

فقال: _ خلق الإنسان من علق .

روح البيان / إسماعيل حقي (ت 1127 هـ) *



_ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ _

إقرأ _ أى ما يوحى إليك يا محمد فإن الأمر بالقرآءة يقتضى المقروء قطعاً _

وحيث لم يعين وجب أن يكون ذلك ما يتصل بالأمر حتما ..

سوآء كانت السورة أول ما نزل أم لا ..

فليس فيه تكليف ما لا يطاق سوآء دل الأمر على الفور أم لا ،

والأقرب أن هذا الى قوله ما لم يعلم أول ما نزل عليه ﷺ على ما دلت عليه الأحاديث الصحيحة والخلاف إنما هو فى تمام السورة عن عائشة رضى الله عنها :

أول ما ابتدئ به رسول الله عليه السلام من النبوة حين أراد الله به كرامته ورحمة العباد به.

الرؤيا الصالحة:

كان لا يرى رؤيا إلا جاءت كفلق الصبح أى كضيائه وإنارته فلا يشك فيها أحد،

كما لا يشك فى وضح ضياء الصبح

وإنما ابتدئ عليه السلام بالرؤيا لئلا يفجأه الملك

الذى هو جبريل بالرسالة فلا تتحملها القوة البشرية، لأنها لا تحتمل رؤية الملك ،

وإن لم يكن على صورته الأصلية ولا على سماع صوته ولا على ما يخبر به ،

فكانت الرؤيا تأنيسا له وكانت مدة الرؤيا ستة أشهر على على ما هو أدنى الحمل،

ثم جاءه الملَك فعبر من عالم الرؤيا الى عالم المثال،

ولذا قال الصوفية إن الحاجة إلى التعبير إنما هى فى مرتبة النفس الأمارة واللوامة،

وإذا وصل السالك إلى النفس الملهمة كما قال تعالى فألهمها فجورها وتقواها،

قل احتياجه إلى التعبير لأنه حينئذ يكون مُلهماً من الله تعالى، فمرتبة الإلهام له

كمرتبة مجيئ المَلك للرسول عليه السلام، فإذا كانت مدة الرؤيا ذلك العدد يكون ابتدآؤها

فى شهر ربيع الأول وهو مولده عليه السلام، ثم أَوحى إليه فى اليقظة فى شهر رمضان ،

وكان عليه السلام فى تلك المدة إذا خلا يسمع ندآء

يا محمد يا محمد

ويرى نوراً أى يقظة،

وكان يخشى أن يكون الذى يناديه تابعا من الجن كما يُنادى الكهنة وكان فى جبل حرآء ،

غار وهو الجبل الذى نادى رسول الله بقوله إلى يا رسول الله ،

لما قال له ثبير وهو على ظهره اهبط عنى يا رسول الله فإنى أخاف أن تقتل على ظهرى .

وكان عليه السلام يتعبد فى ذلك الغار ليالى ثلاثا وسبعا وشهرا،

ويتزود لذلك من الكعك والزيت وذلك فى تلك المدة وقبلها ،

وأول من تعبد فيه من قريش جده عبد المطلب ،ثم تبعه سائر المتألهين،

وهم أبو أمية بن المغيرة وورقة بن نوفل ونحوهما،

وكان ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصى، إبن عم خديجة رضى الله عنها ،

وكان قد قرأ الكتب وكتب الكتاب العبرى ، وكان شيخاً كبيرا قد عَمى فى أوآخر عمره،

ثم لما بلغ عليه السلام رأس الأربعين ودخلت ليلة سبع عشرة من شهر رمضان

جاءه المَلك وهو فى الغار كما قال الإمام الصرصرى

_ جَمَالُ الدِّينِ الصَّرْصَرِيّ_ الأفضل فِي الْمَديح النَّبَوِيّ وَالْأَكْثَر علمًا فِي الْأَدَبِ وَالشَّعْر وَبَعْض الْعُلُوم الْأُخْرَى، رحمه الله.

_ إِقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ _

وأتت عليه أربعون فاشرقت شمس النبوة منه فى رمضان

قالت عائشة رضى الله عنها :جاءه الملك سَحر يوم الإثنين، فقال إقرأ قال ما أنا بقارئ ،

قال فأخذنى فغطنى أى ضمنى وعصرنى ثم أرسلنى، فعله ثلاث مرات،

ثم قال اقرأ إلى قوله مالم يعلم ،

وأخذ منه القاضى شريح من التابعين،

ان المعلم لا يضرب الصبى على تعليم القرآن أكثر من ثلاث ضربات،

فخرج عليه السلام من الغار حتى إذا كان فى جانب من الجبل سمع صوتا يقول:

يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل ،

ورجع إلى خديجة يرجف فؤآده فحدثها بما جرى فقالت له: أبشر يا ابن عمى واثبت،

فوالذى نفسى بيده إنى لأرجو أن تكون نبىّ هذه الأمة،

ثم انطلقت إلى ورقة فاخبرته بذلك فقال فيه:

فان يك حقا يا خديجة فاعلمى حديثك إيانا، فأحمد مرسل وجبريل يأتيه وميكال،

معهما من الله وحىٌّ يشرح الصدر مُنزَّل يفوز به من فاز عِزاً لدينه،

ويشقى به الغاوى الشقى المُضلَل،

فريقان، منهم فرقة فى جنانه ،وأخرى باغلال الجحيم تغلل،

ومكث عليه السلام مدة لا يرى جبريل وإنما كان كذلك ليذهب عنه ما كان يجده من الرعب وليحصل له التشوق إلى العود، وكانت مدة الفترة أى فترة الوحى بين اقرأ وبين يا أيها المدثر **،وتوفى ورقة فى هذه الفترة ودفن بالحجون ،وقد آمن به عليه السلام وصدقه قبل الدعوة،**

التى هى الرسالة ولذا قال عليه السلام :" لقد رأيته فى الجنة وعليه ثياب الحرير "

ثم نزل يا أيها المدثر قم فأنذر فطهر.

قال بعض العارفين: أهل الإرداة فى الطلب والمراد مطلوب وهو نعت الحبيب،

ألا ترا أنه لما قيل له اقرأ استقبله الأمر من غير طلب

ونظيره ألم نشرح لك صدرك، فإنه فرق بينه وبين قول موسى: رب اشرح لى صدرى

_ باسم ربك _ متعلق بمُضمر،

هو حال من ضمير الفاعل أى إقرأ ملتبسا باسم الله تعالى، أى مبتدئا به..

ليتحقق مقارنته لجميع أجزآء المقروء، أى قل بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ثم اقرأ،

فعلم أن إقرأ باسم ربك نزلت من غير بسملة وقد صرح بذلك الإمام البخارى رحمه الله،

أمره بذلك لأن ذكر إسم الله قوة له فى القرآءة وآنس بمولاه ،

فان الأنس بالإسم يفضى إلى الأنس بالمسمى ،

والذكر باللسان يؤدى إلى الذكر بالجنان،

والباء فى _بسم_ بَرِّه تعالى على المؤمنين بأنواع الكرامات فى الدارين،والسين كونه سميعاً لدعاء الخلق جميعا,والميم معناه من العرش إلى تحت الثرى ملكه وملوكته،

وفى الكواشى دخلت الباء فى إقرأ بسم ربك لتدل على الملازمة والتكرير

كأخذت بالخطام ولو قلت اخذت الخطام لم يدل على التكرير والدوام.

وفى كتاب شمس المعارف أول آية نزلت على وجه الأرض

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ،

يعنى على آدم الصفى عليه السلام، فقال آدم الآن علمت أن ذريتى لا تُعذب بالنار

ما دامت عليها، ثم أنزلت على إبراهيم عليه السلام فى المنجنيق فانجاه الله بها من النار،

ثم على موسى عليه السلام فقهر بها فرعون وجنوده، ثم على سليمان عليه السلام،

فقالت الملائكة الآن والله قد تم ملكك ،فهى آية الرحمة والأمان لرسلِه وأممهم،

ولما نزلت على رسول الله ﷺ فى سورة النمل إنه من سُليمان

وإنه بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ،

كانت فتحا عظيما فأمر رسول الله فكُتبت على رؤوس السور، وظهور الدفاتر واوآئل
الرسائل وحلف رب العزة بعزته أن لا يسميه عبد مؤمن على شئ إلا بورك له فيه،

وكانت لقائلها حجابا من النار وهى تسعة عشر حرفا تدفع تسعة عشرة زبانية،

وفى الخبر النبوى: لووضعت السموات والأرضون وما فيهن وما بينهن فى كفة ،

والبسملة فى كفة لرجحت عليها يعنى البسملة،

_ الذى خلق _ وصف الرب به لتذكير أول النعماء الفائضة عليه منه تعالى،

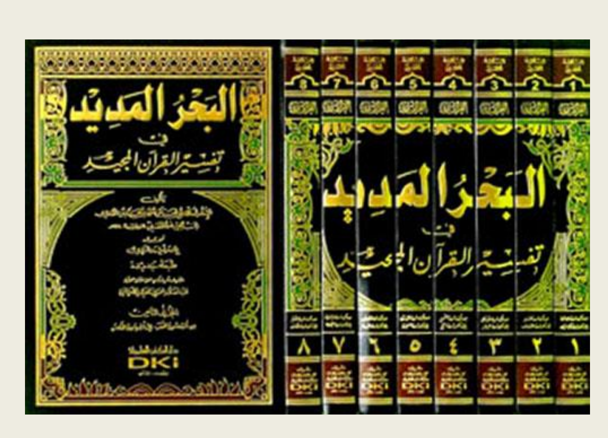
والتنبيه على أن من **قدر على خلق الإنسان** على ما هو عليه من الحياة، وما يتبعها من
الكمالات العلمية والعملية من مادة لم تُشم رائحة الحياة فضلا عن سائر الكمالات،

قادر على تعليم القرآءة للحقّ العالم المتكلم أى الذى له الخلق والمستأثر به لا خالق سواه،
فيكون خلق منزل منزلة اللازم, وبه يتم مرام المقام، لدلالته على أن كل خلق مختص به ،

أو خلق كل شئ فيكون من حذف المفعول للدلالة على التعميم،

وقال فى فتح الرحمن لما ذكر الرب وكانت العرب فى الجاهلية تُسمى الأصنام أربابا

جاء بالصفة التى لا شركة للأصنام فيها فقال الذى خلق.



ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ ٱلإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ * ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلأَكْرَمُ * ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ * عَلَّمَ ٱلإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ.

يقول الحق جلّ جلاله لنبيه ﷺ، في أول الوحي: _ اقرأ باسم ربك _ أي: اقرأ هذا القرآن مفتتحاً باسم ربك، أو مستعيناً به، فالجار في محل الحال_ ويحتمل أن يكون المقروء الذي أمر بقراءته هو باسم ربك، كأنه قيل له: اقرأ هذا اللفظ، والتعرُّض لعنوان الربوبية المنبئة عن التربية والتبليغ إلى الكمال اللائق شيئاً فشيئاً مع الإضافة إلى ضميره ﷺ للإشعار بتبليغه عليه السلام إلى الغاية القاصية من الكمالات البشرية والروحانية بإنزال الوحي المشتمل على نهاية العلوم والحكم.

وقوله تعالى: _ الذي خلقَ _ صفة للرب، ولم يذكر له مفعولاً لأنَّ المعنى: الذي حصل منه الخلق، واستأثر به، لا خالق سواه، أو تقديره: خلق كلَّ شيء، **فتناول كلَّ مخلوق لأنه مُطلق، فليس بعض المخلوقات بتقديره أولى من البعض ،**

وقوله تعالى: _ خَلَقَ الإنسانَ _ بتخصيص للإنسان بالذكر من بين ما يتناوله لشرفه، ولأنَّ التنزيل إنما هو إليه، ويجوز أن يُراد: الذي خلق الإنسان، إلاَّ أنه ذكر مبهماً، ثم فسّر تفخيماً لخلقه، ودلالةً على عجيب فطرته_ قيل: لمَّا ذكر فيما قبل أنه خلق الإنسان في أحسن تقويم، ثم ذكر ما عُرض له بعد ذلك، ذكره هنا منبهاً على شيءٍ من أطواره،

وذكر نعمته عليه، ثم ذكر طغيانه بعد ذلك، وما يؤول إليه حاله في الآخرة،

فإنه تفسير لقوله:_ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلإِنسَانَ فِيٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ _ التين:4، 5،

ثم ذكر أصل نشأته بقوله: _ مِن عَلَقٍ _ ولم يقل من علقة لأنَّ الإنسان في معنى الجمع_

وفيه إشارة إلى أنَّ ابتداء الدين كابتداء خلق الإنسان، كان ضعيفاً ثم تقوّى شيئاً فشيئاً

حتى انتهى كماله_ ثم كرّر الأمر بالقراءة بقوله: _ اقرأْ _ أي: افعل ما أُمرتَ به،

تأكيداً للإيجاب وتمهيداً لقوله: _ وربُّك الأكرمُ _ فإنه كلام مستأنف،

وارد لإزاحة ما أظهر عليه السلام من العُذر بقوله: " ما أنا بقارىء "

يريد أنّ القراءة من شأن مَن يكتب ويقرأ، وأنا أُمي،

فقيل له: _ وربك _ الذي أمرك بالقراءة مستعيناً باسمه

هو _ الأكرم _ أي: مِن كل كريم يُنعم على عباده بغاية النعم، ويحلُم عنهم إذا عصوه،

فلا يعاجلهم بالنقم فليس وراء التكرُّم

بهذه الفوائد العظيمة تكرُّم.

_ الذي عَلَّم _ الكتابة _ بالقلم عَلَّم الإنسانَ ما لم يعلم _

فدلّ على كمال كرمه بأنه علَّم عباده ما لم يعلموا، ونقلهم من ظلمة الجهل إلى نور العلم، ونبّه على فضل علم الكتابة لِما فيه من المنافع العظيمة، وما دُوّنت العلوم ولا قُيّدت الحِكم

ولا ضُبِطت أخبار الأولين، ولا كُتب الله المنزّلة، إلاَّ بالكتابة ولولا هي لما استقامت أمور الدين والدنيا، ولو لم يكن على دقيق حكمة الله تعالى دليل إلاّ أمر القلم والخطّ لكفى به.

وفي ذلك يقول ابن عاشر الفاسي :

لله في خلقه مِن صنعه عجبُ كادت حقائقُ في الوجود تنقلب

كلم بعين تُرى لا الأذنُ تسمعها خطابُها حاضر وأهلها ذهبوا

الإشارة: اقرأ بربك لتكون به في جميع أمورك

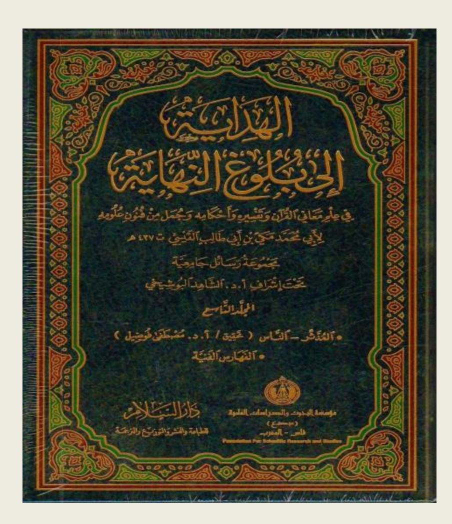
الذي أظهر الأشياء ليُعرف بها،

وأظهر المظهر الأكبر ـ وهو الإنسان ـ من علقة مَهينة، ثم رفعه بالعلم إلى أعلى عليين، فرفعه من حضيض النطفة الخبيثة إلى ارتفاع العلم والمعرفة، ولذلكم قال: اقرأ وربك الأكرم الذي تكرَّم عليك وعلّمك ما لم تكن تعلم، الذي علَّم بالقلم، علَّم الإنسان ما لم يكن يعلم.

والله تعالى أعلم، ولمّا لم يشكر الإنسان هذه النعم،

، زجره تعالى بقوله: كَلاَّ إِنَّ ٱلإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ

الهدايه إلى بلوغ النهايه/ مكي بن أبي طالب (ت 437 هـ) *



ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ *خَلَقَ ٱلإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ * ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلأَكْرَمُ * ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ * عَلَّمَ ٱلإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ* كَلاَّ إِنَّ ٱلإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ* أَن رَّآهُ ٱسْتَغْنَىٰ* إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰ * أَرَأَيْتَ ٱلَّذِي يَنْهَىٰ * عَبْداً إِذَا صَلَّىٰ* أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَىٰ ٱلْهُدَىٰ * أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰ * أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ * أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ* كَلاَّ لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعاً بِٱلنَّاصِيَةِ * نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ * فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ * سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ *كَلاَّ لاَ تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب *.

قوله: _ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ _

أي: اقرأ يا محمد بذكر ربك الذي خلق - ثم بين ما خلق، فقال: _ خَلَقَ ٱلإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ

أي: من الدم والمراد: من علقة، " وعلق " جمع " علقة " ، فجمع

لأن الإنسان بمعنى الجماعة_ ومعنى الباء اللزوم، أي: الزم القراءة بذكر ربك

ثم قال: _ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلأَكْرَمُ _ أي: الأكرم من كل شيء.

وقوله: _ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ _ أي: علم خلقه الكتاب والخط.

قال قتادة: القلم نعمة من الله جل وعز عظيمة، لولا ذلك لم يتم أمر ولم يصلح عيش،

ثم قال: _ عَلَّمَ ٱلإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ _ أي: علمه الخط بالقلم وغيره، ولم يكن يعلمه.

ثم قال: كَلاَّ إِنَّ ٱلإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ * أَن رَّآهُ ٱسْتَغْنَىٰ

قيل: " كلا " ردع ورد، ومعناها: ما هكذا ينبغي أن يكون الإنسان! _ينعم_ عليه ربه

بتسويته وخلقه وتعليمه ما لم يكن يعلم ثم يكفر به،

ثم بين كفره من أين أتاه، فقال: كَلاَّ إِنَّ ٱلإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ * أَن رَّآهُ ٱسْتَغْنَىٰ

أي: إن الإنسان إذا أحس بالغنى طغى واستكبر وكفر

فيوقف على " كلا " هذا التأويل

قال ابن مسعود: منهومان لا يشبعان: طالب علم، وطالب دنيا.

فأما طالب العلم فيزداد خيفة، قال الله: إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَاءُ _فاطر: 28_،

وأما طالب الدنيا فيزداد طغيانا، قال الله: كَلاَّ إِنَّ ٱلإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ * أَن رَّآهُ ٱسْتَغْنَىٰ

ويجوز أن _يكون_ " كلا " بمعنى: " ألا " ، فيبتدأ بها لأن المعنى الذي يكون رداً له

لم يظهر لفظه في الآية، فيبعد أن تكون ردا لما (لم) ينص قبلها،

ورأى " هاهنا من رؤية القلب، دل على ذلك تعدي من الضمير إلى المضمر،

ولو كان من رؤية العين لم يجز " رآه " ، والفاعل هو المفعول

وإنما كان يقال: " رأى نفسه " ، " كضرب نفسه "، والمفعول الثاني ، " لرأى "استغنى

ثم قال تعالى: إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰ

أي: إن إلى ربك - يا محمد - مرجع هذا الإنسان، فذائق من أليم عقابه ما لا طاقة له به

ثم قال: أَرَأَيْتَ ٱلَّذِي يَنْهَىٰ * عَبْداً إِذَا صَلَّىٰ

روي أن هذه الآية نزلت في أبي جهل بن هشام، وذلك أنه قال: لئن رأيت _محمداً_

يصلي عند المقام لأَطَأَنَّ رقبته وكان ينهى رسول الله ﷺ أن يصلى .

فالمعنى: أرأيت يا محمد أبا جهل الذي ينهاك عن الصلاة؟!

يعجب نبيه من جهل أبي جهل وجرأته ،هذا معنى قول ابن عباس ومجاهد وقتادة..

قال قتادة: كان يقال: لكل أمة فرعون وفرعون هذه الأمة أبو جهل،

والجواب محذوف لعلم السامع فالمعنى والتقدير: أرأيت، يا محمد، الذي ينهى عبدا إذا صلى، أمصيب هو، أم هو آمن من العقوبة؟

والمعنى عند سيبويه: أخبروني عن هذا،

وقوله: أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَىٰ ٱلْهُدَىٰ * أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰ..

أي: أرأيت إن كان محمد على الهدى والرشاد في صلاته لربه، أليس الناهي هالكاً ملعوناً؟

ثم قال تعالى: أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰ..

أي: أو أمر محمد هذا الذي ينهاه عن الصلاة بالتقوى_ فلم يقبل منه، أليس هو مالكاً ملعوناً؟

ثم قال تعالى: أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ..

أي: إن كذب أبو جهل بما جاء به محمد ﷺ وأعرض عنه وأدبر فلم يصدقه..

أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ

أي: ألم يعلم أبو جهل بأن الله يراه فيما صنع من نهيه عن الصلاة وتكذيبه وإعراضه

عما جاء به محمد ﷺ فيخاف أن تنزل به عقوبة من الله؟

ثم قال تعالى: كَلاَّ لَئِن لَّمْ يَنتَهِ

قيل: " كلا " رد وردع، والمعنى: لا يتهيأ لأبي جهل أن يتم له نهي النبي ﷺ

عن صلاته وعبادته ربه.

وقال الطبري: المعنى: ليس الأمر كما يقول إنه يطأ عنق النبي ﷺ، أي: لا يقدر على ذلك

ولا يصل إليه، فيوقف على " كلا " على تقدير التقديرين،

ويجوز أن تكون " كلا " بمعنى " حقاً " وبمعنى " ألا " ، فيبتدأ بها، إذ ليس قبلها لفظ ظاهر تكون رداً له، وإنما يحسن الوقوف عليها إذا كان قبلها لفظ منصوص، يحسن أن يكون رداً لهوالوقف عند القتبي على " كلا " ، وعند أبي حاتم: " يرى " ، وهو الوجه الظاهر

وقوله: لَئِن لَّمْ يَنتَهِ تهدد ووعيد، أي: لئن لم ينته أبو جهل عن أذى محمد لَنَسْفَعاً بِٱلنَّاصِيَةِ

أي: لنأخذن بمقدم رأسه فلنقهرنه ولنُذلنه.

يقال: سفعت بيده، إذا أخذت بها،

وقيل: معناه: لنسودن وجهه، فاكتفى بذكر الناصية من الوجه،

إذا كانت الناصية في مقدم الوجه

وقيل: معناه: لنأخذن بناصيته إلى النار، كما قال تعالى: فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَاصِي وَٱلأَقْدَامِ الرحمن: 41

واللام في " لئن ": لام توطئة للقسم، وهي من لامات التأكيد،

واللام في " لنسفعاً ": لام قسم

ومعنى " توطئة " أنها تؤذن بإتيان القسم بعدها

ثم قال تعالى: نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ أي: كاذب صاحبها خاطئ، وهي بدل من الأول،

ثم قال تعالى: فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ

أي: فليدع أبو جهل أهل مجلسه وأنصاره وعشيرته لنصرته

روي أن النبي ﷺ انتهر أباجهل لما نهاه عن الصلاة، فقال أبو جهل: علام يتوعدني محمد

وأنا أكثر أهل الوادي نادياً؟! فأنزل الله: فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ،

أي: أهل ناديه، فإن دعاهم سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ (لهم)

قال ابن عباس: لو دعا ناديه لأخذته زبانية العذاب من ساعته

قال أبو هريرة: قال أبو جهل: هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم؟

فقيل: نعم، فقال: واللات والعزى، لئن رأيته يصلي كذلك لأطأن على رقبته،

قال: فما فجئهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه ويتقي بيديه،

قال: فقيل له: ما لك؟! قال: إن بيني وبينه خندقاً من نار وهؤلاء،

قال: فقال رسول الله ﷺ: لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضواً عضواً

" قال ابن عباس: فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ، أي: " ناصره،

وقال قتادة: عشيرته،

والنادي والندي: المجلس،

والزبانية: ملائكة، وهم عند العرب الشرط، وهو مشتق من " زبنه " إذا دفعه،

كأنهم يدفعون الكفار إلى النار وواحد الزبانية عند أبي عبيدة: زبنية

وقال عيسى بن عمر واحدهم: زابن

وقال الأخفش: واحدهم: زباني

وقال الكسائي: واحدهم: زبني

قال عبد الله بن أبي الهذيل: الزبانية: أرجلهم في الأرض ورؤوسهم في السماء.

ثم قال: كَلاَّ لاَ تُطِعْهُ

أي: ليس الأمر على ما يقول أبو جهل في نهيه إياك يا محمد عن الصلاة وطاعة ربك،

لا تطعه فيما أمرك به واسجد لربك واقترب منه بالدعاء والعمل الصالح في السجود

وفي الحديث:

" أقرب ما يكون العبد من ربه إذا كان ساجداً، فأكثروا من الدعاء في السجود،

فقمين أن يستجاب لكم"

قال مجاهد: أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، ألم تسمعوا إلى قوله: _ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب

ويجوز أن تكون " كلا " بمعنى: " حقا " ، وبمعنى: " ألا " فيبتدأ بها.

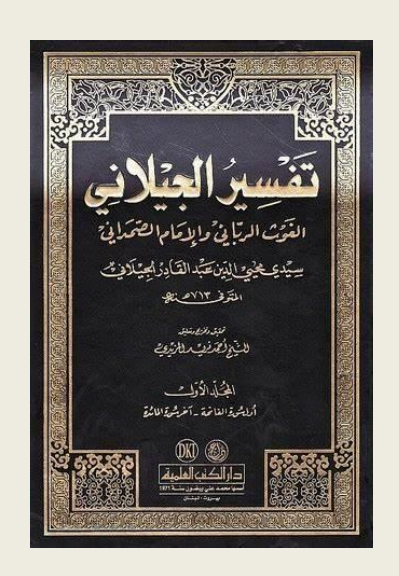
وروى ابن وهب عن رجاله أن أبا جهل كان يقول: لئن رأيت محمداً يصلي لأطأن على رقبته، فأمر الله نبيه بالسجود، فقال: _ وَٱسْجُدْ _ ، وقال لأبي جهل: " واقترب " ،

على طريق التهدد، أي: اقترب من محمد إن كنت صادقا في قولك:

فقيل لأبي جهل: هذا محمد يسجد، فاقترب منه! فقال: ما أستطيعه،

إن بيني وبينه كالفحل، لو اقترتب منه لأهلكني

هذه رواية ابن وهب، وفيها زيادة تفسير لما روي، وفيها بعض اختصار.



ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ *خَلَقَ ٱلإنسَانَ مِنْ عَلَقٍ * _ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلأَكْرَمُ * ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ *عَلَّمَ ٱلإنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ * كَلاَّ إِنَّ ٱلإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ * أَن رَّآهُ ٱسْتَغْنَىٰ *

إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰ*

ٱقْرَأْ يا أكمل الرسل وتذكر بعدما أدركتك العناية، وأحاطت عليك الكرامة الإلهية بِٱسْمِ رَبِّكَ أي: داوم على تذكر عموم أسماء مربيك ٱلَّذِي خَلَقَ كل شيء، وأظهره من كتم العدم

حسب أسمائه وصفاته، وربَّاه بأنواع اللطف والكرم وأباح عليه من جلائل النعم،

سيما خَلَقَ ٱلإنسَان وخصه من عموم الأكوان بمزيد الإنعام والإحسان،

مع أنه خلقه وقدر وجوده مِنْ عَلَقٍ _العلق: 2_ دماء معلوقة مسترذلة، مكونة من مني مرذول، مكون من الدم المسفوح، المتكون من إجراء الأغذية،

وبعدما أمر سبحانه حبيبه ﷺ بالقراءة، وتعديد الأسماء وإحصاءها، أمره بالقراءة ثانياً؛

للتأمل والتدبر في معانيها، والاستكشاف عن فحاويها ومرموزاتها

فقال: _ ٱقْرَأْ _ قراءة تدبر وتعمق واستكشاف على ما في مطاويها

من البدائع والغرائب المودعة فيها، ولا تنظر إلى كونك أمياً لست من أهل الإملاء

_ وَرَبُّكَ ٱلأَكْرَمُ _الكامل الكرامة والهداية لأرباب العناية

_ٱلَّذِى عَلَّمَ _ الخط والرقم _ بِٱلْقَلَمِ _ الذي هو بمراحل عن التعلم والتفهم،

لا تستبعد من كمال كرامته وعنايته، تعلمك يا أكمل الرسل؛

إذ هو سبحانه عَلَّمَ ٱلإنسَانَ المصور على صورة الرحمن مَا لَمْ يَعْلَمْ من البيان والتبيان، وأنواع طرق الكشف والعيان، فأنت يا أكمل الرسل من أعز أفراد الإنسان شأناً،

وأعلاه شرفاً وبرهاناً، وأرفعه قدراً ومكاناً ،

وبعدما أشار سبحانه إلى مبدأ الإنسان ومادته، وإلى منتهاه وغايته، تعجب سبحانه من حاله، واستبعد ما صدر عنه من الطغيان والكفران والبغي والعدوان،

مع كمال عناية الله معه وكرامته إياه،

فقال على سبيل الردع والزجر: _ كَلاَّ إِنَّ ٱلإِنسَانَ _ المستحدث من الأقذار المهانة،

المترقي إلى نهاية الكرامة وأعلى المقامة _ لَيَطْغَىٰ _ ويتجاوز عن حده، ويستكبر على ربه، وينسى أصل منشئه؛ لأجل _ أَن رَّآهُ _ علم نفسه أنه _ ٱسْتَغْنَىٰ _أي: صار غنياً عن الله، مستغنياً عن الافتقار إليه، مستكبراً على عباده، يمشي على وجه الأرض خيلاء

بما عنده من حطام الدنيا ومزخرفاتها الفانية

وكيف يتأتى لك الطغيان والاستكبار أيها المسترذَل المُهان المستحدث من المهين

_ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ _ الذي أظهرك من كتم العدم، وأحدثك من الأمشاج المرذولة _

ٱلرُّجْعَىٰ أي: الرجوع المعهود في النشأة الأخرى، فسيجزيك بجميع ما صدر عنك

بعدما يحاسبك عليه بمقتضى العدالة والإنصاف،

أيتها اللطيفة الخفية، _ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ _العلق: 1_ مفردات لطائفك أولاً،

_ خَلَقَ ٱلإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ _

أي: خلق ثانياً حقيقة إنسانيتك عند خلق المفردات بعضها ببعض ليصل إليها ضوء نور اسم ربك؛ لكي تشرق به أرض قالبك.

ٱقْرَأْ _ بالقوة التي أودعناها في اسمك الأحمدي الذي هو مظهر اسمنا الأحدي، _

وَرَبُّكَ ٱلأَكْرَمُ * ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ

وهو أول موجود أوجده الله في مرتبة الفاعلية، وهذه إشارة ترد على اللطيفة المتخلقة

من ظلمات القالب، ويظهر على السالك بعد هذا الأمر العلم اللدني،

فإذا أدى حق هذه المقام في السجود يعطى له العلم المجهول في مقام الاقتراب،

وهو مقام يرفع الحجاب فيه بين الأرباب الباطلة المتفرقة ورب الأرباب،

يسجدوا له ويؤمنوا به ويقولوا: نحن التراب وأنت رب الأرباب،

وفي هذا البيان سر عزيز يتعلق بحد القرآن الذي لا يمكن لقلم البيان التجاوز عنه؛

لأنه مأمور بأن يمد عين البيان في ميدانه

عَلَّمَ ٱلإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ _ من تفاصيل علم الأسماء، ومحاضر الصفاء،

ومصادر الأفعال، ومظاهر الآثار.

كَلاَّ إِنَّ ٱلإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ * أَن رَّآهُ ٱسْتَغْنَىٰ؛

يعني: حقاً إن الإنسان إذا أراه مستغنياً بالقوى والآلات والأدوات التي أعطيناها ليكتسب بها علم التفاصيل،

_ لَيَطْغَىٰ _ ويعصي ربه بتلك الآلات والأدوات واستعمالها بغير حقها؛

ليكتسب اللذائذ العاجلة الشهوانية ويتمتع بها، ونسيانه بأن رجوعه إلى ربه

كما يقول: _ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَى؛

يعني: مرجع كل اللطائف إلى رب الحق،

فكل لطيفة أثقلت بالباطل ظهرها فهي معذبة وقت الرجوع

ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ _ لكي يخفف نور إسم ربك ظهرك على ظلمة الباطل،

كما أشرنا إليها من قبل

أَرَأَيْتَ ٱلَّذِي يَنْهَىٰ * عَبْداً إِذَا صَلَّىٰ ؛ يعني: أرأيت القوى القالبية والنفسية

إن تنهى لطيفتها التي توجهت إلى لطيفتها الخفية.

***

تم

إعداد

قدري جاد

الهرم ش على بن أبى طالب

2024_8/2